

م الموضوعات الإسلامية - م الموضوعات متفرقة - المحاضرة ٤٠ : الدروس المستفادة من الأحداث الجارية في العالم .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠١-٩-٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعود الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحقَّ حَقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنَه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الله في خلقه آيات ثلات :

أيها الأخوة المؤمنون: إن الله في خلقه آيات ثلات: له آيات كونية هي خلقه، وهذه ثابتة واضحة، السير في التفكير في آيات الله الكونية آمن وثبت، ولا مشكلة أبداً، وتفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا.

وإن الله في خلقه آيات تكوينية، أي أفعاله، زلزال، صواعق، براكين، حروب أهلية، اجتياح، تدمير، حروب،



الله في خلقه آيات تكوينية

هذه أفعاله.

وله في خلقه آيات قرآنية: كلامه، أمر واضح كالشمس، خلقه وأفعاله وكلامه. تفكروا في خلقه ما شئتم، الطريق سالك وآمن إلى الله، ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا، لكن الله جل جلاله أمرنا أن ننظر في أفعاله، ننظر في أفعاله في ضوء أقواله.

الحقيقة التفكير في أفعال الله من دون أن تستثير بأقواله طريق فيه ألغام كثيرة، تجد شعوباً كثيرة مقهورة مضطهدة جاهلة، وشعوب غارقة في الآثام والمعاصي والإباحية وكل أنواع



هناك قصف قد يدمر بلداً مسلماً بأكمله

الدروس المستفادة من الأحداث الجارية

الفجور وهي قوية ومستعملية، إن نظرت إلى أفعاله من دون أن تهتمي بأقواله هناك مطب كبير جداً، النظر في خلقه من دون قيد أو شرط، لكن النظر في أفعاله يحتاج إلى أن تستثير بأقواله، تنظر إلى أفعاله من خلال أقواله، ولأن المسلم يعيش كغيره من الناس، هناك أحداث - طبعاً هذا هو الدرس الثالث الذي لم أستطع أن أنفك فيه عن الموضوع الساخن الذي حولنا، هذا الموضوع موضوع مصيري- قد يأتي قصف يدمر بلداً مسلماً بأكمله، وهناك بلاد إسلامية عديدة جداً معرضون للقصف ومستهدفو، لذلك حتى في هذا الدرس الثالث لم أستطع أن أنفك عن هذا الحدث الضخم الذي ألم بالعالم كله، لكن كما أقول دائماً: هناك ألف منبر إعلامي، صحيفة، مجلة، محطة فضائية.... القائمون على هذه المنابر لهم أن يقولوا ما شاؤوا، ولكنك إذا دخلت إلى بيت من بيوت الله لا يمكن إلا أن تستمع إلى ما في الكتاب والسنة من تفسير لما يجري، هنا مقيدون بمنهج، هنا مقيدون بحكم شرعي، هنا مقيدون بالوحين الكتاب والسنة، هنا لا نستطيع أن نقول كلمة إلا وفق الكتاب والسنة، لكن لأن هذا الحدث ساخن جداً ولا يعفى أحد من التأثر به، عدو أو صديق، ولأن مستقبله خطير جداً، لابد من أن نبقي بهذا الحدث والموضوع الساخن .

التّولى و التّخلي :

أيها الأخوة: الإنسان من دون وحي -
وأنا أقول هذا مراراً - كالذى يملك
عيناً حادة البصر من دون نور، حكمه
حكم الأعمى، والعقل البشري من دون
وحي يدمر صاحبه، أول وهم كبير
تللاشى أن القوة هي كل شيء، وأن
القوة هي التي تصنع الحق عند هؤلاء،
وأنه ما من حصن لك كأن تكون قوياً،
وقد غاب عن هؤلاء الأقوباء ما في



القرآن الكريم من تعقب على هذه المقوله، قالت عاد:

﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَا قُوَّةً أَوْلَمْ يَرَوُا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾

[سورة فصلت: ١٥]

لمجرد أن تقول: إنه ليس هناك من هو أقوى مني، سيريك الله جل جلاله أن قوتك لا شيء أمام قوته، لذلك هذه الآية:

﴿فَاتَّاهُمُ اللَّهُ مِنْ حِيثُ لَمْ يَحْسِبُوا وَقَدْ فَيْ قُلُوبِهِمُ الرُّعْب﴾

[سورة الحشر: ٢]

درس لنا، درس لكل مسلم على مستوى فردي، لا نقل: أنا متوفّق، أنا عندي مال لا تأكله النيران، أنا مركزي قوي جداً في هذه الوظيفة، حينما تقول: أنا قوي نقع في مطب كبير، وقد يرتكب الذي يدعى هذه القوة حماقة ما بعدها حماقة، ويرتكب خطأ ما بعده خطأ، الحقيقة الله عز وجل أمرنا أن ننظر في أفعاله، أمرنا أن ننفك في خلقه.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخُلُقَ الْلَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[سورة آل عمران: ١٩١-١٩٠]

وأمرنا أن ننظر في أفعاله.

﴿فُلْسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْدَبِينَ﴾

[سورة الأنعام: ١١]



الذين كذبوا بالوحى، وكذبوا بالدين، وأمنوا بالدنيا فقط، ونظروا بعين واحدة، وعيتهم على الحياة الدنيا فقط، هؤلاء كيف أن الله يأتיהם من حيث لم يحتسبوا، وكيف أن الله يقذف في قلوبهم الرعب، القصص التي نسمعها عن انتشار الرعب والذعر في هذه البلاد العقل لا يصدقها، طائرة ضخمة جداً متوجهة من لوس أنجلوس إلى كندا

فيها راكب يدخن، طلب منه أن يطفئ سيجارته فأبى، فخافوا منه، فرجعت الطائرة بعد أن أمضت ساعتين من الطيران، وحلقت إلى جانبها طائرتان عسكريتان خوفاً من أن تتجه إلى جهة، هاتف يأتي إلى مطار فرنسا أنه يوجد قبلة، تغلق أبواب المطار تلغى الرحلات كلها، ساعتان تعطلت فيها حركة الطيران، والله أنا أستمع كل يوم إلى خبر لا يصدق يعيق حركة المطار عشر ساعات، راكب عنده دعاية جاءت المصيبة قال: هل يوجد إرهابي؟ قال: أنا إرهابي، وألغيت الرحلة وأخذوه إلى التحقيق ثلاثة ساعات ! قال: أنا أمزح لا يوجد شيء من هذا. فيما أيها الأخوة: أنا أريد أن أستفيد من هذا الذي وقع، يوجد آيات، والإنسان يقرأ الآيات فلا ينتبه إليها، إياك أن تقول: من أشد مني قوة؟ لا على مستوى جماعي، ولا على مستوى فردي، ولا على مستوى صاحب حرفة، لأنك تكون أول تاجر تصبح آخر تاجر، أنا أول مدرس تصبح آخر مدرس، أنا أول طبيب، يوجد طبيب تفوق يفوق حد الخيال، طبيب نسائي، وذاع صيته،

واعتزل بعلمه، أثناء ولادة أراد أن يقطع المشيمة فقطع الرحم، وقطع الأمعاء، ولو لا أنه أسعف هذه المريضة إلى مستشفى أخرى لسحبت منه شهادته، قائد فوج في الحج تفوق تفوقاً كبيراً فقدم له كتاب شكر، أذاع هذا الكتاب في الأوساط الدينية، في العام القائم كان فوجه أسوأ فوج! إياك أن تقول: أنا، الصحابة الكرام وفيهم رسول الله قالوا: لن غالب من قوة فغلبوا في حنين.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذَا أَعْجَبْتُمْ كُثُرَكُمْ﴾

[سورة التوبة: ٢٥]

من اعتمد على القوة وحدها فقد أخطأ الهدف :

إذاً أنا أيها الأخوة أدعوكم إلى التأمل فيما جرى لا في ضوء التحليلات التي تسمعونها، لأن الإعلام الغربي خطير جداً، ورد ذكره في القرآن الكريم، من يذكر الآية؟ الإعلام الغربي أخطر سلاح بيد الغرب قال تعالى:

﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾

[سورة غافر: ٢٩]

على لسان فرعون، أنت لا تستمع إلى خبر إلا إذا كان مستهدفاً من قبلهم، حتى تتحطم معنويات المسلم، حتى يخاف، حتى يستسلم، حتى يقعد، أنت إعلامك قرآنی، فأول شيء من اعتمد على القوة وحدها فقد أخطأ الهدف، يجب أن تعتمد على الله وأن تسعى أن تكون قويةً.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٦٠]



الإعلام الغربي أخطر سلاح بيد الغرب

عندما تكون قوة القوى دون حكمة تصبح مدمرة

أما هؤلاء الذين بلغوا ذروة النجاح في القوة فلأنهم اغترروا، إذاً قوتهم كانت سبب تدميرهم، لذلك الآن يطرح في الإعلام أن القوة وحدها لا تكفي لابد من أن يكون مع القوة حكمة، ولو لا الحكمة مع القوة لكانت القوة مدمرة لصاحبيها، أنا أرى أن درس بدر وحنين درسان خطيران في حياة المسلمين، لمجرد أن تقول: أنا، يتخلى الله عنك،

لمجرد أن تقول: الله، يتو لاك الله.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتُمْ كَثْرَتُمْ فَلَمْ تُفْعِنْ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُّذْبِرِينَ ﴾

[سورة التوبة: ٢٥]

وفي بدر:

﴿وَلَقَدْ نَصَرْتُمُ اللَّهَ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذْلَلُهُ﴾

[سورة آل عمران: ١٢٣]

أول درس نستفيده أن القوة وحدها لا تكفي، وأنها قد تؤدي إلى الغرور ومع الغرور الحمق. النبي عليه الصلاة والسلام بالحكمة التي منحها الله إياها حول أعداءه إلى أصدقاء، والإنسان من دون حكمة بحول أصدقائه إلى أعداء، وأنا هذا أعده مقياساً دقيقاً، إذا كنت متوفقاً في تحويل كل صديق إلى عدو فزانت بعيد عن حكمة الله بعد الأرض عن السماء، وإذا كنت متوفقاً في تحويل العدو إلى صديق فأنت تملك حكمة لا تقدر بثمن.

لا ينفع حذر من قدر :

الشيء الثاني: أنه لا ينفع حذر من قدر، هكذا قال عليه الصلاة والسلام، مهما كنت محاطاً، مهما غطيت كل الثغرات تغطية تامة، لا ينفع حذر من قدر، ولكن ينفع أن تستعين بالله، كلما أخذت احتياطات مشددة.

أنا أذكر قصة لا أنها مضحكة: أخ عنه مزرعة دعا أصدقائه إليها، فجاؤوا قبله، والمزرعة لها باب كبير



لا ينفع حذر من قدر

وشامخ، وعليها قفل كبير وحائطان، أين يجلسون؟ صعدوا فوق الباب وتمزقت ثيابهم، والبطيخة انكسرت، فلما دخلوا إلى المزرعة لم يجدوا لها سوراً، وكان بالإمكان أن يدخلوها من طرف آخر مشياً، فنحن نفكر بهجوم بعيد جداً، درع صاروخى، أي صاروخ يأتينا قبل مئات الكيلو مترات يفجر إلكترونياً، فالذي يعتقد بقوته قد يؤتي من حيث لا يحتسب، هذا درس بلير لنا، لا ينفع حذر من قدر ولكن ينفع الدعاء مما نزل وما لم ينزل، الدرس الثاني إذاً القوة مدمرة من دون حكمة، المقوله التي سمعتها هناك كثيراً أثناء زياراتي أن القوة تصنع الحق.

على الإنسان ألا يتمتع بالحياة وحده :

أنا كنت أقول: الحق ما جاء به الوحيان ولكن يحتاج إلى قوة، الآن يقال وأنا سمعت هذا بأذني أن القوة وحدها لا تكفي، لابد لها من حكمة، فإن لم يكن معها حكمة فهي قوة مدمرة، هذا درس لنا، لماذا أمرنا بدفع الزكاة؟ قال تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطْهِرُهُمْ﴾

[سورة التوبة: ١٠٣]



تطهرهم من ماذ؟ قال: تطهر الفقير من الحقد، والغني من الشح، أنت مستحيل أن تعيش وحدهك، وأن تأكل وحدهك، وأن ترتدي أجمل الثياب وحدهك، أن تأتي لأولادك بكل ما لديك، وطاب، وأن تتغافل عن حولك، الفقراء الجائعون المحتاجون، فإن لم تتعل غرسـتـ فيـهـمـ الحـقـ، وهذاـ الحـقـ سوفـ يـصـبـحـ قـوـةـ مـدـمـرـةـ، ولاـ أـبـلـغـ إـنـ

ما تعانـيهـ البـشـرـيةـ منـ هـؤـلـاءـ الـمـحـرـومـينـ منـ دـوـنـ إـيمـانـ عـمـيقـ يـمـثـلـوـنـ حـقـداـ، فـهـنـاكـ ظـلـمـ عـامـ، أـلـمـ يـقـلـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ:

((تُملأُ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَجَوْرًا ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِّنْ عِرْتَى يَمْلِكُ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا فِيمَا لَأْرَضَ قِسْطًا وَعَدْلًا))

[أحمد عن أبي سعيد]

ألم يقل عليه الصلاة والسلام:

((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْفَاتِلُ فِيمَا قُتِلَ، وَلَا المُقْتُولُ فِيمَا قُتِلَ))

[مسلم عن أبي هريرة]

ألم يقل عليه الصلاة والسلام:

((يَوْمٌ يَذُوبُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ فِي جَوْفِهِ مَا يَرَى وَلَا يُسْتَطِعُ أَنْ يَغْيِرَ، إِنْ تَكَلَّمْ قَتْلُوهُ، وَإِنْ سُكِّتْ اسْتَبَاحُوهُ))

[ابن ماجه وابن حبان والحاكم عن أبي ثعلبة الحشني]

كم مأساة جرت في العالم ولم يعبأ بها الإعلام الغربي؟ هل تذكرون راوندا بأفريقيا ذبح خمسين ألف و لم يحركوا ساكناً، لكنهم أقاموا الدنيا ولم يقعدوها على ستة آلاف، بجنوب أفريقيا ذبح خمسين ألف في يومين، حتى أن مياه النيل أصبحت حمراء! في الصرب ذبح عشرة آلاف من

المدنيين ودفنا في مقابر جماعية، لو ذهبت إلى أن أعدد ما يجري في العالم من مأسى في هورشيم ونكرزاكى قتل ثلاثة ألف بثلاث ثوان بقنبتين ذريتين! أينما ذهبت تجد مذابح وحروباً... الحرب العالمية الثانية خمسون مليون قتيل، فهناك مأس كبيرة، هذا المظلوم لا بد من أن يحقد، وإذا حقد لا يملك شيئاً يخاف عليه، هنا قوته.

قصة قديمة: أذكر مرة إنساناً عمل عملاً استشهادياً في الأرض المحتلة وقتل سبعة عشر إسرائيلياً، وكان قد رفض في ذلك الوقت وزير الدفاع ذكر اسمه، فلما دخل إلى المجلس النيابي عندهم ضجّ النواب و بدؤوا يقرعونه فقال كلمة بلغة: ماذا أفعل بإنسان جاء ليموت؟ القوة أين تكمن؟ أن هذا الذي تهدد أن تقتله هو جاء طوعاً، هذا الذي جاء ليموت يهدد أكبر قوة في العالم.

فلذلك أيها الأخوة عندما قال سيدنا علي: كاد الفقر أن يكون كفراً، فأنت أيضاً أيها الأخ درس ثان لا تتمتع بالحياة وحدك، وزرع، أطعم من حولك، ألبس من حولك، لا تكن أنانياً، يجب أن يعيش هذا المجتمع برفاه ما بعده رفاه، الطائرة الخاصة شيء طبيعي جداً، اليخوت الخاص طبيعي جداً، مستوى المعيشة يفوق حد الخيال، الرقم فلكي،



كاد الفقر أن يكون كفرا

تجد الرجل معه ملايين، كل فرد له سيارة، لا يوجد بيت فوق بيت بكل أمريكا! كله فلل، والمساحات الخضراء أضعاف مساحة البيوت، و المسابح المدفأة، والمركبات الفارهة، والأسعار الرخيصة، وال حاجات الميسورة، إذا كان في الأرض جنة فهي هناك، لكنهم ليسوا إنسانين، بل هم عنصريون، بمعنى أنهم يمتعون شعبهم فقط على حساب بقية الشعوب، فأنت حينما تأكل وحدك، وتسكن وحدك، وتتمتع بالحياة وحدك، هذا الطرف الآخر سوف يحقد، وليس عنده شيء يخاف عليه، سوف يغدو قبلة لك، هذا بالعمق، طبعاً لا يعنيني من فعل هذا قبل أن تأتي التحقيقات، لكن يوجد ظلم عام بالأرض.

العنف لا يعالج بالعنف بل يعالج بالعدل :

أخواننا الكرام: توجد مقوله دقيقة جداً والله سمعتها منذ عشرين سنة: بدأت الحرب بالإنسان وانتهت بالإنسان، ماذا يفعل سلاح نووي تملكه أعظم دولة أمام إنسان إذا أراد أن يموت فسبب

مشكلة لا تنتهي؟ أنا لا يعنيني في هذا الدرس لا أسماء بلاد ولا أسماء شعوب ولا أسماء دول، يعنيني حقائق مطلقة، أنا كمسلم رأيت وسمعت حدثاً كبيراً بالعالم قد يكون أكبر حدث كان له أثر كبير، يعنيني كيف أفهم هذا الحدث من كتاب الله، لذلك الله عز وجل عادل، يعطي الإنسان قوة، ويعطي الضعيف قوة من نوع آخر.



من التعليقات اللطيفة أن وحيد القرن عندهم قال: أيعقل أن أقبي صاروخاً بلغت كلفته مليوني دولار على خيمة بلغت كلفتها عشرة دولارات؟ قوة الضعيف لا شيء عنده يخاف عليه، كلها بيوت من اللبن والخيام لا يوجد هدف اضربوا كما شئتم، الضعيف عنده قوة، أحياناً قوته كامنة في ضعفه، توجد حكمة إلهية كبيرة جداً، والإنسان

المتغطرس يخشى أن يأتي إليه تردد عشرة أيام، فلذلك بدأت الحرب بالإنسان وانتهت بالإنسان، مقابل القوى العاتية الجباره مقابل التفوق التكنولوجي في الأسلحة يوجد إنسان يحب أن يموت في سبيل الله.

أعتقد أن في عام تسعة وستين كان هناك كتاب للمرحلة الثانوية مقرر، كتاب مشهور اسمه معذبو الأرض، وكان هذا الكتاب لإنسان مفكر إفريقي، محور الكتاب أن العنف لا يلد إلا العنف، وكل إنسان يتحت له أن يؤذى، قبل يومين دخل إنسان إلى البرلمان السويسري وقتل ستة عشر شخصاً، لم يقولوا عنه إرهابياً قالوا: عنده مشكلة نفسية! انحياز لا يحتمل، هذا يعني أن أي إنسان ممكن أن يؤذى، مهما تحصن، قد يؤتى الإنسان من مأمنه، فلذلك الحياة تستقيم بالعدل، متى يزول العنف؟ إذا زال الظلم فقط، مهما تحصن، وأخذت احتياطات مشددة، الله عز وجل قد يأتي إلى هذا المتغطرس من مأمنه، يؤتى الحذر من مأمنه.

أنا أقول دائماً ليها الأخوة: الطبيب الناجح إذا رأى ارتفاع حرارة من الخطأ الفادح أن يعطي المريض خافضات للحرارة فقط، يجب أن يبحث عن أصل الداء، أصل الداء يوجد التهاب، ما لم يعالج التهاب لن يشفى المريض، وأنا أقول لكم الآن: ما يجري في العالم لا يُزال بضربة انتقامية، العنف لا يُزال بعنف مثله، قتل الأبرياء لا يعالج بقتل أبرياء، بل إن قتل الأبرياء إذا كان علاجاً لقتل أبرياء سباق شرحاً في العالم لا حدود له، يجب أن تبحث عن سبب هذا العنف، سببه ظلم عام على مستوى الشعوب لا على مستوى الأفراد.

أيها الأخوة: هناك نقطة دقيقة جداً الإنسان لو لم يرتد ثياباً شكله لا يتحمل، الله عز وجل جملنا بالثياب، والإنسان حينما يكيل بمكيالين لا يتحمل أبداً، لا يتحمل، لو أن الأب يعامل ابنته غير ما يعامل زوجة ابنه، البنت مغفور ذنبها، أما الكنه فتعامل بقسوة بالغة، فإنه يكيل بمكيالين، أحياناً إنسان يعامل ابنه يتمناه أن يكون طيباً، يدفع له ملابس الزيارات دروس خاصة، لكن إذا عنده صانع يتييم وطلب منه الذهاب قبل ربع ساعة من نهاية الدوام ليتحقق بمدرسة ليلية لا يسمح له، لأنه بنظره عندما يتعلم يخرج عنه، وكل إنسان يكيل بمكيالين ساقط من عين الله بشكل عام، أنا كنت مرة بمحل تجاري فيه صانع وهناك ابن صاحب محل، هذا المحل هو محل أقمشة، حمل الصانع أول توب وثاني توب وثالث توب لم يعد يتحمل قال: لم أعد أستطيع، قال له: أنت شاب، ابنه حمل توباً واحداً قال له: بابا انتبه لظهورك! كم هذا الموقف بشع! كل إنسان يكيل بمكيالين تحقره وتلعنها، والدنيا كلها تلعنها، يذبح ثلاثة ألف بالشيشان يقولون: شأن داخلي، تصبح مشكلة بأندونيسيا يقولون: حقوق الإنسان، لماذا هنا حقوق إنسان وهذا شأن داخلي؟ يعتدي المعتمدي نقول للمعتدى عليه: اضبط نفسك، والمعتمدي ندعمه.

الحقيقة العالم كله يشكو من الكيل بمكيالين، يصير حدث بمنطقة تجد الدول كلها تجمعت، يصيب منطقة ثانية كثيراً من المأسى تحت التعنيف الإعلامي، فالطرف الشارد عن الله يكيل بمكيالين.

رسينا محمد عليه الصلاة والسلام قال:
((عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُمَّ عَنْهَا أَنْ قُرِيَشًا أَهْمَهُمْ شَأنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ

التي سرقت فقلوا ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلوا ومن يجرئ عليه إلى أساميَّةُ بْنُ زَيْدٍ حَبَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَأَخْطَبَ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقُوا فِيهِمُ الْشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الْضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِيمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))

[منقق عليه عن عائشة أم المؤمنين]



لذلك أيها الأخوة: ازدواج المعايير مشكلة كبيرة جداً، نحن لا يعنيها الأمور الكبيرة، يعنيها أنت بحياتك اليومية في معاملتك لأصحابك وبناتك وأولادك لا تكيل بمكيالين، مكيال واحد، مقياس واحد، كلما كلت بمقاييس واحد عولت في نظر الناس، وكلما كلت بمقاييس سقطت من عين الله. وأقول لكم مرة ثانية وهذه والله فناعتي: قتل الأبرياء لا يقبله أحد لكن لا يعالج بقتل أبرياء، والعنف لا يلغى العدالة، يعالج بالعدل.

التوحيد لا يلغى العدالة والمسؤولية :

الفكرة الثالثة في هذا الدرس دقيقة جداً: الله عز وجل حينما يسمح لهذا الحدث أن يقع بصرف النظر عن مشروعية فاعله، هذا الذي تحدث عن السيدة عائشة ورمهاها بالزنى عمله مشروع؟ أجيبوني؟ لا، قال:

﴿وَالَّذِي تَوَلَّ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

[سورة النور: ١١]

لكن لماذا سمح الله به؟ لحكمة كبيرة جداً فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ﴾

[سورة النور: ١١]

توجد آياتان، الآية الأولى:

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ﴾

[سورة النور: ١١]

توحيدياً، والآية الثانية:

﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

[سورة النور: ١١]

عدلاً، معنى ذلك التوحيد لا يلغى العدالة، الفكرة دقيقة، مريض جاء للإسعاف والطبيب يقرأ جريدة، وأمامه ممرضة يغازلها، الآن انتظر فمات المريض، إذا قال: المريض مات بأجله يعاقب عليها، هو مات بأجله، لكن التوحيد لا يلغى العدالة والمسؤولية، لأن هذا الذي حدث بمشيئة الله وسمح الله به، ليس معنى هذا أن الذين فعلوه مغطون، لا هذا موضوع ثان، سأتيكم بالأدلة، لكن حينما يسمح الله لمثل هذه الأحداث أن تقع الهدف هو الفرز، بهذا الحدث كشف كل شيء، كشف العالم.



العالم فريقان: حق و باطل، في بدر كشف المؤمنون، بالخندق ماذا قال ضعاف الإيمان؟

﴿مَا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾

[سورة الأحزاب: ١٢]

ماذا فعل أقوياء الإيمان؟ قال:

العالم فريقان: حق و باطل

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ فَنِهَمُّ مِنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

[سورة الأحزاب: ٤٣]

هذا يعني أنه فرز، لذلك:

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ رَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَاجِرَ وَتَظْنُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ * هُنَالِكَ ابْنُتِي الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾

[سورة الأحزاب: ١٠-١١]

بالخندق فرزوا، وبأحد فرزوا، وبحنين فرزوا، وبالهجرة فرزوا، ونحن نفرز كل يوم، حق وباطل، أحياناً جامعوا الأموال قد يأخذون أموال هؤلاء بالباطل، ضعاف الإيمان يلجؤون للبنوك، ما جرى في هذا البلد من خطأ جسيم من قبل جامعي الأموال كان فرزاً للناس، ضعيف الإيمان قال: البنك أفضل لنا لأنه آمن ولم يعبأ بتحريم الله له، فأنا أرى أنه ما من حدث يقع إلا وفيه فرز للمؤمنين، وهذا فيه فرز، نحن جميعنا مؤمنون والحمد لله، رواد المساجد كثر، صار الإنسان الذي يخاف مما سوى الله مشرك، و الذي خاف من الله وحده مؤمن، قال:

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ﴾

[سورة آل عمران: ١٧٥]

هذا فرز، من يخاف من الله وحده هذا المؤمن الموحد، من يخاف مما سوى الله، من هذه القوى الجبار، هذا مشرك.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسِبْنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الوَكِيلُ﴾

[سورة آل عمران: ١٧٣]

﴿إِنَّمَا ذَكْرُكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أُولَئِكَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[سورة آل عمران: ١٧٥]

في الفكرة الثانية موضوع الفرز، مثل هذه الأحداث الكبرى سمح بها من أجل أن يفرز الناس إلى فريقين، دققا في هذه الآية هذه قالتها عاد الثانية.

﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾

[سورة فصلت: ١٥]

ماذا رد الله عليهم؟ قال:

﴿أَوَلَمْ يَرُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾

[سورة فصلت: ١٥]

وهذه الآية تطبق انتباهاً تماماً على ما جرى، الإمام الشافعي له كلمة رائعة قال: "أنا على حق وخصمي على باطل وقد يكون محقاً" احتمال أي إنسان يتوجه أن الحق معه دائماً وكل من سواه على باطل، هذا إنسان أحمق، أصغ للآخرين، قرأت من يومين كلمة أعجبتي: إن أردت أن تعزل إنساناً عزلاً تماماً حتى يختل توازنه توجد



طريقتان أن تضعه في المنفردة هذه واضحة، والطريقة الثانية: أن تحيطه بالمنافقين، كلما قال كلمة صدقه، هذا عزلته عزلاً كاملاً، نوع من أنواع العزل، كل من حولك منافق، كلما قلت كلمة صدقوك لمصلحة يربدونها منك، فهذا عزل عن الحقيقة، لذلك عود نفسك أن تستمع للنقد الجارح، عود نفسك أن تقبل النقد وتدرس النقد، عود نفسك أن تكون جريئاً وتتفهم الحقيقة المرة، فكل إنسان لا يسمع إلا ما يحلو له، إنسان معزول منتهٍ.

طبعاً أنا مضطر أن أروي هذه الطرفة لأنها تحل مشكلة كبيرة: العالم الجليل الشيخ نور الدين الحسني معروف، كان مع إخوانه في نزهة في الغوطة والبستان مسقي فيه طين، جاء إنسان بعيد عن كل أنواع اللباقة راكب بغلًا، يسير سيراً يرمي بالطين على طرف الطريق، والشيخ يمشي مع إخوانه وهو من كبار شيوخ الشام، فنبهوه انتبه لكن اتسخت ملابسه من الأعلى إلى الأسفل، فقام أخ فقتله حتى كاد أن يمته، سأله الشيخ: هل هذا صحيح؟ ليس مغطى شرعاً؟ قال: ما أفح قوم لا سفيه لهم.

الابتعاد عن إحراج المسلمين :

لكن آخر فكرة في هذا الدرس وهي من أهم أفكاره قوله تعالى:
﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾

[سورة المحتنة: ٥]



أتقن عملك لتظهر كمال دينك

الآلية واسعة جداً، لو فرضنا دائرة أو مؤسسة فيها مسلم وغير مسلم، المسلم كذب، عمل تصريحاً كاذباً، أو لم يتقن عمله، أو أهمل عمله، والكافر كان منضبطاً، ماذا فعل المسلم بهذا الكافر؟ أو همه أنه على حق، وأن كفره هو الحق، وأن هذا الذي فعله المسلم ينطلق من إسلامه، فحينما يجعل كافراً يتثبت بکفره، ويغتر به، ويرتضيه، ويتوهم

أنه هو الأصل، وأن هذا الدين الذي فعله المسلم دين باطل، يكون الكافر يتثبت بکفره بسبب خطأ المسلم، هذا الموضوع ليس له علاقة بما يجري، له علاقة بأعمالنا اليومية، أتقن عملك، فإذا كان هناك إنسان غير مسلم ورآك لا تتقن عملك يعزى عدم الإتقان إلى دينك لا إلى ذاتك، إذا أديت تصريحاً كاذباً وأنت مسلم ووقع هذا التصريح بيد إنسان غير مسلم يعزى كذبك إلى إسلامك، فأنت جهلك الكبير ألا تسبب حرجاً للمسلمين، وألا تسبب حرجاً لهذا الدين العظيم، وهذا الدعاء الشهير القرآني:

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾

[سورة المحتنة: ٥]

لكل شيء حقيقة :

أيها الأخوة: آخر شيء أقوله في هذا الدرس: لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن لكل واقع حكمة، بصرف النظر عن الموقع كان حكيمًا أو لم يكن حكيمًا، والحكمة التي تستتبع من كل واقع متعلقة بالخير المطلق، والله عز وجل يوظف الشر النسبي إلى الخير المطلق، ونحن نرجو الله سبحانه وتعالى من أعماق قلوبنا أن يحفظ لنا بلادنا، ويحفظ لنا من معنا، وأولادنا، وذرياتنا، وأن يحفظ بلاد المسلمين جميعاً من كل سوء، وأن يتولى الله سبحانه وتعالى الدفاع عنا كما وعدنا، إن الله يدافع

عن الذين آمنوا، لكن كما قلت: هذا اسمه حادث فرز، الهجرة فرز، الخندق فرز، حنين فرز، أحد فرز، وكل حدث كبير هو فرز بالحقيقة، والله عز وجل يلهمنا الصواب، والفهم الصحيح، نحن هنا في بيت من بيوت الله، ولا ينبغي أن يلقي فيه إلا ما جاء في الوحيين من الكتاب والسنة، والحمد لله رب العالمين.

أسئلة وأجوبة :

س : يقول أخ: ما قولك بالمثل الذي لا يخاف من الله خف منه ؟
ج: لا شيء فيه، إذا إنسان لا يخاف من الله هذا يعني أنه شرير فخذ حذرك منه.
س: أخ يقول: أنا شاب غافل عن الله، وأشكو مرض البعد عن الله، فأرجو منك نصيحة تغيرني إلى شاب من أهل الله، وقد كنت بعثت لك عدة أوراق أسألك فيها وأنت لا تجيبني، فأرجو الإجابة.

ج: بالدين لا يوجد شيء أن تقول كلمتين فتصبح الله، تحتاج إلى إرادة قوية، وإلى متابعة، وإلى التزام، لكن لا يوجد عندنا دواء سحري أن يكون الإنسان غافلاً شارداً مشتتاً يقول هذا الدعاء فيصبح وليناً، لا يوجد عندنا كهذا الشيء أبداً، عندنا من يبحث عن الحقيقة فيحضر دروس العلم، يستمع بوعي إلى ما قيل فيها، يطبقها، النبي الكريم كان يقول إذا دخل إلى المسجد: "اللهم افتح لي أبواب رحمتك"، فإذا خرج منه يقول: "اللهم افتح لي أبواب فضلك"، جاء إلى بيت الله وتلقى التعليمات من الوحيين الكتاب والسنة وخرج من بيت الله ليعمل بما سمع، فلما الإنسان يؤدي الصلوات أداء متقداً، ويغض بصره عن محارم الله، ويغض أذنه عن الغناء، ويضبط لسانه عن كل غيبة ونميمة، وعن كل كلام فاحش، ويؤدي الحقوق، ويكسب المال الحلال، دون أن يشعر بذاته مع الله، شيء سهل جداً، الله عز وجل قريب:

﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة الأعراف: ٥٦]

استقم على أمر الله، وأحسن إلى خلقه، تجد نفسك مع الله.

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةَ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف: ١١٠]

والحمد لله رب العالمين